الفراشات والأوقات

د . فاتح عبدالحليم - سورية

بدر والفجر:

إنه يبشر بولادة يوم جديد، معه يستقيظ المرء بهمة ونشاط ليبدأ يومه بالعمل الجاد والعبادة الصادقة.

أمتع بدر إخوته بما قاله عن الفجر، فصحيح أنهم على دراية بمدلوله في حياتنا اليومية، وبما يرمز إليه من المواظبة والمثابرة، إذ إن في استيقاظ الإنسان بهذا الوقت ما يتيح له ذهنا صافيا بعد نومه الكافي.

(دعك من هذا الكلام، أريد أن أكمل نومي) قال علاء وهو يندس في فراشه ليتابع نومه، اقتناعا منه بعدم جدوى الاستيقاظ في مثل هذا الوقت، والأهم إحساسه بالدفء في هذا الطقس البارد.

لماذا تهتم بالفجر يا بدر ؟ كان ذلك سؤال شقيقته فابتسم وهو يجيب : هناك من ينتظرون قدومه بفارغ الصبر، منهم من ينوون الذهاب إلى مزارعهم في هذه اللحظات، كسبا للوقت من جهة، ومن جهة أخرى عشقهم لمنظر شروق الشمس وهي تبزغ في الأفق البعيد، وحتى يحين ذلك سيجدون في زقزقة العصافير وشدو البلابل أنيسا في هذا الانتظار.

أدركت الصغيرة عندها سر تمتع هؤلاء بالعمر المديد وبالصحة والعافية أيضا، فهم لا يشعرون بحلاوة وطعم يومهم من غير أن يشهدوا حضور الفجر فيه ﴿والفجر وليال عشر...﴾

ما يؤكده خروج الأب وهو يهز معوله مرددا بعض الأذكار والأدعية، ولأن اليوم عطلة فقد لحق بدر بأبيه، إذ كان فرحا وهو يحمل في جعبته بعض الزاد، لأن في انتظاره يوم عمل حافل ستكون زراعة الأشجار أهم محاوره.

انظر يا بدر إلى تلك الشجرة.. لقد زرعها والدي رحمه الله، كان وقتها سعيدا رغم أنه لم يأكل من ثمارها، لكنه كان يردد دوما (سيأكل منها أولادي وسيتفيؤون بظلها الوارف وهم مستمتعون بعطائها الكريم وخيرها الوفير (**إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها..**) حديث نبوي.

سمع بدر بإنصات ما قاله أبوه، والذي ما لبث أن أخذ يمسح عرق جبينه متأملا شمس الظهيرة وهو يقول : هيا يا بدر!

عرف عندها الصغير أن موعد الاستراحة قد حان، فالعمل بعدها سيكون بهمة ربما تنافس ما كانت عليه فجرا.

شهيرة والظهيرة

(لقد حان موعد الظهر يا بنتي) قالت الأم لشهيرة التي شاركتها اليوم العمل بمزرعتهم القريبة، ففي مثل هذا الوقت اعتاد أفراد الأسرة على تأدية الصلاة، ذلك ما يجسد الألفة والمحبة بين أفرادها (**صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة..**) حديث نبوي.

وبعد تناول الطعام وقبل أن يحين موعد القيلولة أخذ الأب ينظر إلى صغيرته متسائلا: ترى ماذا تحمل الظهيرة إلى شهيرة من مشاعر؟.

ورغم أن سؤاله لم يكن موجها تحديدا إلى شقيقها بدر لكنه استأذن للإجابة فقال: لا شك في أن هذا الوقت مهم، البعض يعدونه ذروة العطاء والعمل، وآخرون يجدون فيه فرصة للراحة بعد عناء يومهم المضني.

(لن أتأخر.. سأعود قريبا) عبارة اخترق بها علاء صمت الجميع، فأثار شقيقته شهيرة لأنها تعرف أنه يستغل مثل هذا الوقت في رمي القمامة بغير أماكنها المخصصة و أوقاتها المحددة، فسارعت القول : إذا كنت تظن أن لا أحد يراك فأعتقد أن ضميرك سوف يؤنبك يوما، وبخاصة أن ما تقوم به يؤدي إلى نشر الأمراض وإبراز مدينتنا بمظهر غير حضاري.

لم يكترث علاء بما قالته شهيرة واكتفى بترديد : لن أفعل ذلك. ثم خرج مسرعا دون أن يبدي أية مبالاة أو اهتمام بما سمعه، في حين راح بقية الصغار يؤدون ما عليهم من واجبات.

قلق واضح لف الجميع وهم يسمعون طرقات على الباب فتوجهت شهيرة لتفتحه، وإذ بعلاء ممزق الثياب، أشعث الشعر، بدا مرتبكا وهو يقول : لم أتوقع أن يشهد شارعنا مثل هذا الازدحام.

هزت عندها الصغيرة رأسها معلنة رفضها لما قاله وردت بعبارة لا بد أن تترك في نفسه وقعا خاصا: ما حصل نتيجة طيشك ولعبك مع رفقة السوء في الشارع، دون أن تضع اعتبارا لأية مخاطر، ليس في الظهيرة فحسب، بل في جميع الأوقات ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله..﴾ قرآن كريم.

مضر والعصر

(بعد فراغي من تأدية صلاة العصر ومن واجباتي أقوم بنزهة بين أحضان الطبيعة)

سمع إخوة مضر ما قاله بينما كانوا جالسين على شرفة منزلهم بعدما بدأت الشمس ترنو إلى المغيب، أحس عندها شقيقه بدر أن هناك الكثير مما ينبغي القيام به في الغابة القريبة، فأكوام النفايات تهددها بخطر الحريق والتلوث.

لا ننسى أيضا أن نقوم بزراعة بعض غراس الأشجار فيها (**ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة أو إنسان إلا كان له بها صدقة..**) حديث نبوي.

أضاف بدر وهو على يقين بأن مضرا سيكون خير معين له في تأدية ذلك، انطلاقا من درايته بأهمية الشجرة وما تحمله من خير وفير وعطاء كريم.

لكن ما لم يخطر ببال بدر هو ما يفكر به أخوه في وضع بعض الأجهزة بأماكن معينة في أجسام بعض الحيوانات، وبخاصة المهددة منها بخطر الانقراض لتقوم بإرسال إشارات معينة يلتقطها جهاز استقبال وذلك عند وقوع أي خطر يلم بها، إضافة إلى معرفة حركتها ومكانها. واضح تماما عدم إدراك بعضهم لما يتربص بتلك الكائنات من مخاطر تهدد

بقاءها وتنذر بزوالها، لهذا أخذ يحدثهم عن دورها في التوازن البيئي الطبيعي قائلا: بكل أسف هناك من يتجاهل أهمية الكثير من الكائنات الحية، غير آبه بما سيؤول إليه غيابها ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

علينا إذا أن نتمسك ببيئة سليمة.. عبارة أطلقها مضر، فهو يدرك ما يترتب عليه تهاون بعضهم واستهتارهم، وبخاصة إذا أصابت شرورهم ثرواتنا الطبيعية ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.

وقبل أن تعانق الشمس الأفق البعيد التفت إلى إخوته، عرفوا أن موعد العودة قد حان، فتوجهوا إلى منزلهم سعداء فرحين.

رجب والمغرب

(يستطيع المغيب أن يحجب أشياء كثيرة، لكنه لا يخفي ما تؤول إليه أفعال بعض المتهاونين والمستهترين). قال رجب فسمع ذلك شقيقه ناصر المعني بهذا، وبخاصة أنه اعتاد على عدم التقيد بقواعد المرور، ظنا منه أن في تجاوزه لها اختصار الوقت، غير مبال بما يترتب عليه الأمر.

(الم نحثك مرارا على التخلي عن عدم مبالاتك.. ربما يصيبك مكروه بسببها) عبارة باح بها بدر عندما هم شقيقه ناصر بالخروج بعد صلاة المغرب متوجها إلى أحد رفاقه.

ومع أن غيابه لم يدم طويلا لكنه عاد مرتعبا.. مصفر الوجه، إذ بدا مضطربا وهو يحدث إخوته عن هول ما شاهده: كان طفلا صغيرا أصر على عبور الشاعر رغم وجود نفق يوصل إلى طرفه الآخر، فداهمته سيارة أوقعته أرضا، قام عندها بعض الخيرين بإسعافه إلى المشفى القريب ﴿وتعاونوا على البر والتقوى..﴾.

اعتذار شديد تقدم به ناصر من إخوته، كشفته نظراته ودموع عينيه، واقترب من شقيقه الأكبر رجب راجيا أن يوضح له أكثر عن بعض ما يجهله من إشارات المرور.

وبرحابة صدر استل رجب علبة ألوانه وأوراقا، وأخذ يرسم لوحات فيها الكثير مما يبتغيه ناصر، فكانت رائعة، إذ أبرز معالم مرورية كثيرة، اللافت أن شمس الأمل بتقيد الصغار فيما طرحه لم تغب عنها، رغم أن الوقت فيها كان بعد المغيب.

علاء والعشاء

أقلق بدرا خروج أخيه علاء بعد صلاة العشاء، ففي هذا الوقت غالبا ما يكون الصغار في منازلهم، منهم -على سبيل المثال- من يتابع واجباته المدرسية، ومنهم من يمارس هوايته في الرسم أو المطالعة.. ومع هذا فالجميع يجب أن يخلدوا لنومهم بعد مرور وقت ليس بالبعيد كثيرا عن العشاء.

ولهذا راح يردد: ترى ماذا سيحل به؟ بينما بدا علاء غير مكترث بما قاله بدر، مستغلا غياب والديه عن المنزل، حتى إنه لم يهتم بتوسلات شقيقته في عدم الخروج.

ها هي ثلة من الأشرار قد تعقبوه، فقال أحدهم لزملائه وعيناه تتطايران شررا: أظن أنه مناسب لعملية السرقة التي نخطط لها منذ زمن، وفي حال رفضه أرجو أن تتركوا لي أمره.

تظاهر عندها علاء بالموافقة، رافقوه إلى منزله بحجة رغبته في تبرير تأخره لأسرته.

دخل بيته لاهثا، وتوسل بدرا للاتصال بالشرطة، والتي حضرت سريعا لينال المسيئون عقابهم العادل ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾.

ندم واضح أبداه علاء وهو يقترب من إخوته معتذرا، تناول إثرها الجميع طعام العشاء وأكملوا ما عليهم من واجبات قبل أن تطفأ أنوار حجرتهم ■